خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

يوم ٢٠١٦/٠٢/١٢

في مسجد بيت الفتوح بلندن

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـــه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾. (آمين).

كان المصلح الموعود رضي الله عنه يروي في خطبه وخطاباته عن المسيح الموعود عليه السلام حكايات وواقعات ذات مغزى وعِبر، وقد قرأت منها على مسامعكم في مناسبات شتى، وسوف أذكر بعضها اليوم أيضا.

لقد بين المصلح الموعود رضي الله عنه في إحدى خطبه أن الله تعالى عندما يبعث أحدًا أو يرسله نبيًا فإنه يؤيده وينصره، ولو تطلبَ إظهارُ صدقه على الناس إبادة معظم سكان العالم عقابًا على معاصيهم، فلا يبالي بهم بل يعاقبهم. وقد ذكر المسيح الموعود عليه السلام حكاية لتبيان هذا الأمر، ويقول المصلح الموعود رضي الله عنه مشيرا إليها: كنا في صغرنا نحب سماع القصص والحكايات جدا، وكنا نطلب من المسيح الموعود عليه السلام سردها لنا فكان يحكي لنا حكايات ذات عبر ودروس، وقد تذكرت الآن حكاية قد سمعتها أذناي من فم المسيح الموعود عليه السلام. قال: لقد جاء الطوفان في زمن نوح عليه السلام لأن الناس أصبحوا سيئين جدا وكانوا يرتكبون المعاصي، وتمادوا في المنكرات حتى سقطوا في عين الله تعالى. وكان على رأس جبلٍ شجرةٌ فيها عش عصفور فيه فرخها (*يجب أن تعرفوا أنها مجرد حكاية*) فذهبت أم الفرخ لأمر ما ثم لم ترجع، وربما ماتت، فعطش الفرخ وأخذ يضطرب من شدة العطش فاتحًا منقاره. فلما رأى الله ذلك أمرَ ملائكته أن يذهبوا ولا يبرحوا يتزلون المطر على الأرض حتى يرتفع مستوى الماء إلى العش الذي على الشجرةِ

التي على قمةِ الجبل ليشرب الفرخ الماء. فقالت الملائكة رب إنّ إنزال المطر الكثير لرفع مستوى الماء إلى قمة الجبل سيؤدي إلى غرق العالم كله. فقال الله تعالى إنني لا أبالي بذلك، إذ لا يساوي أهل الدنيا هؤلاء عندي فرخ العصفور هذا.

لا شك أن هذه مجرد حكاية إلا أن فيها درسا بأن أهل الدنيا إذا خلوا من الحق والسداد لم يساووا كلهم فرخ عصفور عند الله تعالى. فيجب أن نعتبر اليوم بهذه القصة، وإذا كنا ندعو الآخرين إلى التمسك بالحق فعلينا جميعا أن نفحص أنفسنا أيضا، ونتذكر أننا قد آمنا بالمسيح الموعود عليه السلام لكي نؤثر الدين على الدنيا، ولكي نطهر أنفسنا من السيئات، ونعمل الصالحات، ولكن إذا كان الانحطاط يصيبنا بمرور الأيام بدلاً من التطور، فلا شك أننا نحيد عن هدفنا، ولن يبالي الله بنا عندها. وليس خافيا على أحد ما آلت إليه حالة الدنيا، ففي كثير من البلاد لا يؤدي الرعايا ولا الحكام حقوق بعضهم بعضا، وتستشري فيها الفتن والفساد، أما البلاد التي لا تسودها الفتن والفساد في الظاهر أو لم تتدهور حالتها جدا، فإن أهلها ليسوا بعيدين عن مشيئة الله فقط بل يحاولون الإساءة إليه تعالى بكلام باطل شنيع مسيء، وقد غرقوا في النجاسات تماما حتى أنهم يفرضون على الآخرين ممارسة الأفعال غير الفطرية بسن القوانين، بل يقولون إن الذين لا يؤيدون هذه الأفعال النجسة فهم يخالفون القانون. إن هذه الزلازل والطوافين والأمطار الغزيرة الكثيرة التي قد نشرت الدمار في العالم إنما سببها أن الذنوب قد بلغت المنتهى. والحق أن ما وقع إنما هو مجرد إنذار من الله تعالى. ومن هذا المنطلق أيضا فإن مسئولية المسلمين الأحمديين لِتحذير العالم تصبح كبيرة جدا. عليهم أن يحذِّروا العالم ويخبروهم أنهم إن لم يتوجهوا إلى إصلاح ما بهم فإن الله تعالى قادر على أن ينزل على الدنيا آفاتٍ أشدَّ دمارًا. نسأل الله تعالى أن يعيد العالم إلى صوابه.

ثم إن من الأخطار المنتشرة في العالم اليوم، بل الموجودة منذ القدم، أن الناس يصرّون على أخذ حقوقهم غير مبالين بالضرر الذي يلحقونه بالطرف الآخر. أما وكيف يجب أن يفكر المسلم الحقيقي، فالواقعة التالية خير مرشد له بهذا الشأن. يقول المصلح الموعود رضي الله عنه أن سيدنا المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام كان يقص علينا قصة صحابيينِ جاء أحدهما بفرسه ليبيعه للآخر فقال إن سعره مئة دينار، فقال الآخر لن أشتريه بهذا السعر لأن ثمنه أكثر من ذلك في الحقيقة.

يبدو أنه قال للآخر يبدو أنك لا تعرف أسعار الخيول، لكن المالك رفض استلام مبلغ أكبر مما طلبه قائلا: ما دام ثمن حصاني أكبر من هذا المبلغ فلماذا آخذ أكثر؟ فحصل النقاش والمحاجَّة حول الموضوع وأخيرًا تحاكما إلى حَكم. فهذه هي الروح الإسلامية التي أبداها الصحابة، إنما يأمر

الإسلام أنه يجب على كل إنسان أن يهتم بإعطاء حق الآخر ويسعى لإثبات ذلك بدلا من طلب حقه والإصرار عليه. فحين تنشأ هذه الروح تنتهي جميع الإضرابات تلقائيا (*في ذلك الزمن كانت هناك بعض الإضرابات*). فأقل مستوى للحسنة أنه إذا كان لأحد حقٌّ علينا فيجب أن نؤديه له إذا ثبت فعلا. أما القول أنه لما كنا حائزين على حق غيرنا منذ مدة طويلة ونستفيد منه وتعودنا على أن نعدّه حقًّنا؛ لذا لا نستطيع أن نردّه إليه، فهذه الروح غير إسلامية، بل هو عمل سيئ جدا وينافي تعاليم الإسلام بشدة. فقد سُلِّم بحقّ الإضراب في هذا العالم الراقي أيضا وهو الآخر سُلِّم به دون تدبُّر وتفكير. فهم لا ينظرون إلى الحدود التي ينبغي ألا يتجاوزوها. ففي هذا البلد مثلا هناك إضراب في هذه الأيام لنقابة الأطباء، والمرضى هم مَن يعانون. فالأطباء لنيل حقوقهم لا يحرمون المرضى من العلاج فحسب بل في بعض الأحوال يلعبون بحياتهم أيضا. أتذكر في جولتي الماضية إلى اليابان، سألني قسٌّ نبيل محترم، ما هو تعريف الأمن وكيف يقام، فإنني إلى الآن لم أتلقَّ أي جواب مقنع لسؤالي هذا. فقلت له إن من تعاليم الإسلام أن تحب لغيرك ما تحب لنفسك، فبذلك تقيمون حقوق الآخرين مما يكفل الأمن وهكذا تنشرون فيما بينكم الأمن والسلام. فقال إني أسمع هذا التعريف لأول مرة وقد أعجبني كثيرا.

فالإسلام وحده يمكن أن يُري الطرق الحقيقية في كل ميدان، لكننا لا نستطيع أن نُقنع به العالم دون إظهار النماذج العملية. يستحيل أن نسعى لغصب حقوق الآخرين، وإذا قررنا التنازل عن حقوقنا الشرعية أيضا فسوف يسهم ذلك في استتباب الأمن والسلام. ذلك لأننا نريد إرساء دعائم الأمن، وإذا تخلينا عن حقوقنا الشرعية فلا ضير. وعندما يحدث ذلك ستصدر المساعي من كلا الطرفين لأداء الحقوق للآخر، فلن يأخذ أي فريق ما ليس له إذا كان مؤمنا. ومن المستحيل أن يأخذ حق غيره باطلا. لكن المؤسف أن بعض القضايا تُرفع في دار القضاء حيث يلاحظ أن الأخ من جماعتنا أيضا يغصب حق أخيه أو حق الأقارب الآخرين. إذا أعرنا الاهتمام بهذا الموضوع فستنحل كثير من مسائل القضاء. ما الذي يعلِّمنا إياه الإسلام لحسم النـــزاع وإنهاء الخصومات وما هي النماذج التي تركها لنا الصحابة في هذا الخصوص، فقد ورد في الروايات أنه ذات مرة حدث نزاع بين الإمام الحسن والإمام الحسين على أمر ما، فالمعروف أن نزاعا أو عتابا يحدث بين الإخوة أحيانا، كان الإمام الحسن هادئا ولينا بينما الإمام الحسين كان حادَّ الطبع. ففي هذا النـــزاع صدر شيء من القسوة من قبل الإمام الحسين، لكن الإمام الحسن صبر. وكان بعض الصحابة يشهدون هذا النـــزاع، وبعد انتهاء النـــزاع رأى أحدٌ في اليوم التالي أن الإمام الحسن يتوجه إلى مكان بسرعة، فسأله أين يذهب. فقال: أنا ذاهب لأطلب العفو من الحسين. فقال له أنا

كنت موجودا هناك ورأيت أن الحسين اعتدى عليك ومع ذلك إنك ذاهب لطلب العفو؟ فقال الإمام الحسن هذا صحيح، إنما أنا ذاهب إليه لأطلب منه العفو لأنه اعتدى عليَّ يوم الأمس، فقد سمعت من أحد الصحابة أن النبي ﷺ قال إذا تخاصم اثنان فالذي يبادر بالصلح سيدخل الجنة قبل الآخر بخمسمائة عام، فخطر ببالي أني تلقيت من الحسين يوم أمس إساءة واعتداء عليَّ. وإذا جاء إليَّ أولا واعتذر وأبدى الصلح فسوف أكون خاسرا في كلا العالمين إذ واجهتُ الاعتداء هنا في الدنيا وفي الآخرة يدخل الجنة قبلي. لذا قررت أن أطلب منه العفو لكي أدخل الجنة قبله بخمسمائة سنة مقابل الاعتداء. فيجب أن نطبّق هذه الفكرة علينا.

يقول سيدنا المصلح الموعود رضي الله عنه: لقد سمعت فكاهةً من سيدنا المسيح الموعود عليه السلام وهي مأخوذة من مقامات الحريري أو كتاب آخر، فالفكاهة أن ضيفا ذهب إلى حمام، حيث كان مالك الحمام قد وظف الخدام الكثر، (في بعض البلاد حمامات يدلِّك فيها الخدام الضيوفَ) فبالمصادفة حين دخل هذا الضيف حماما لم يكن المالك موجودا، فلما دخل الضيف الحمامَ التصق به جميع الغلمان، فبما أن تدليك الرأس سهل فقد انقضّ الجميع على الرأس، حيث قال كل واحد منهم هذا رأسي، مما أدى إلى خصومة وهاجم أحدهم صاحبه بالسكين، فجرحه وجاءت الشرطة، ورُفعت القضية في المحكمة. كان بعضهم يقول هذا رأسي وغيره يقول هذا رأسي أمام القاضي أيضا، فلما سأل القاضي الضيفَ ما رأيك؟ قال يا سيدي! هؤلاء كلهم دون رأس أي هم أغبياء، فلا أستغرب من كلامهم، إنما أستغرب أنك أيضا طرحت عليَّ السؤال نفسه، مع أن الرأس لم يكن لهذا أو ذاك وإنما هو لي. فكان سيدنا المسيح الموعود عليه السلام يستشهد من هذه القصة على سخافة نـــزاعات أهل الدنيا، فمن أنا أو أنت. فالخادم لا يملك شيئا. فحين يقول عن نفسه إني عبد الله فإنما يقصد أنه لا يملك شيئا. فالحديث في السياق يجري حول المسلم الحقيقي أنه لا يثير قضيةَ أنّ هذا لي وهذا لك، فهو عبدٌ لله، ولا يبقى له شيء بل يكون كل شيء لله ﷻ. فحين يصبح المرء مؤمنا حقيقيا يقول كل شيء مِلْك لله.

يقول المصلح الموعود رضي الله عنه اقرأوا القرآن الكريم فقد سُمي الرسول الكريم ﷺ فيه "عبدَ الله"، كما ورد مثلا: ﴿لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ..﴾ فلا يبقى لنا شيء بصفتنا عبادًا بل الله مالك كل شيء. ولذا صرَّح الله ﷻ في القرآن الكريم بجلاء إنه اشترى من المؤمنين أموالهم وأنفسهم، فإذا كانت كلمة "أنفسهم" تشمل جميع الأعزة والأقارب فكلمة "أموالهم" تشمل جميع الممتلكات. فالإنسان يملك هذين الشيئين. ويقول الله تعالى إنا قد اشترينا من المؤمنين هذين الشيئين كليهما، فقد أخذنا منهم أنفسهم وأموالهم. ومعناه أنه يجب أن لا تتخاصموا فيما بينكم قائلين إن هذا الشيء لي وذلك له،

فلا تتنازعوا حول هذا الأمر. عليكم أن تبذلوا قصارى جهدكم للوصول إلى غايتكم، واتركوا الحديث لماذا صار فلانٌ رئيسا، فبعض الناس يعترضون أنه لماذا انتُخب فلان رئيسا أو لماذا عُهدت إلى فلان مناصب في الجماعة إذ جُعل فلان سكرتيرَ كذا ولماذا لم ينتخَب فلان، أو لماذا جُعل فلانٌ إمامَ الصلاة، فلن نصلي خلفه.

أو لا نستطيع أن نصلّي وراء فلان ما لم يعيَّن فلانٌ إماما. هذه الأمور التي أبيّنها ليست للسماع فقط. لعل البعض يزعمون أن الناس من هذا القبيل كانوا في زمن سيدنا المصلح الموعود ﷺ وليسوا موجودين الآن، بل إنهم موجودون وتصلني الشكاوى في هذه الأيام أيضا. في ذلك الزمن كان الصحابة يُصلحون أناسا معوجّين أما الآن فما زلنا نبتعد رويدا رويدا عن زمن النبوة وسنبتعد أكثر في المستقبل لذا يجب أن ننتبه إلى هذه الأمور جيدا، وقد وجّهتُ أنظار الجماعة إلى أن نكون حذرين جدا ونستوعب أكثر من ذي قبل كيف يمكننا أن نؤدي حق كوننا عباد الله، وكيف يجب أن نتخلى عن تعنّتنا وأنانيتنا وكيف يمكننا السعي لنيل رضا الله تعالى. الأسئلة من هذا القبيل تنشأ عادة عند الانتخابات، ويرسلها الناس خاصة عندما يؤخذ القرار ضد أغلبية الأصوات في ظروف معينة. ففي هذا العام ستُعقد الانتخابات في الجماعة فيجب على الجميع أن يصوِّبوا اتجاه تفكيرهم ويجب أن يُدلوا بأصواتهم بعد الدعاء ومترفعين عن كل نوع من العلاقة والقرابة. تنشأ الأسئلة من هذا القبيل في المنظمات الفرعية أيضا. فقبل بضعة أيام عُقد الانتخاب في لجنة إماء الله في أحد البلاد فجاءتني رسالة من هنالك قيل فيها لماذا انتُخبت هذه السيدة و لم تُنتخب تلك؟ إذ إن السيدة المنتخَبة تتصرف بسلوك كذا وكذا.

أقول: يجب على أفراد الجماعة أن يجتنبوا مثل هذه السفاسف، بل يجب أن يتعاونوا مع كل من يُنتخَب إلى الفترة التي انُتخب لها.

ثم قال المصلح الموعود ﷺ موجِّها الأنظار إلى أمر آخر بأن على المؤمن أن يعقد عزما صميما ويُكمل مهمته. ويجب على المسئولين وأصحاب المناصب ألا يتركوا الأمر على الآخرين وعلى العاملين تحتهم، بل عليهم أن يراقبوا كل عمل بأنفسهم ويحاولوا ليشاركوا فيه بأنفسهم، عندها فقط يمكن أن يكتمل كل عمل بشكل صحيح.

يقول المصلح الموعود ﷺ رواية عن المسيح الموعود عليه السلام أن شخصا ثريا فتح دار ضيافة واسعة وكان يأكل فيها كثير من المحتاجين كل يوم، ولكن كانت هناك مشكلة عويصة إذ كانت الفوضى الكبيرة سائدة في نظامها لأن ذلك الشخص الثري لم يكن راغبا في مراقبة شئونها و لم يكن منتبها إليها قط، كان العاملون والموظفون خونة غير أمناء. فمنهم من كان يشتري أغراضًا بوزن معين ثم

يحضر أقل منه مدعيًا بأنها بأسعار باهظة، وكان منهم من يأخذون بعض الأشياء إلى بيوتهم. كان الطباخون يأكلون الطعام بأنفسهم ويُطعمون أقاربهم ويضيعونه. كانت أبواب المخازن تبقى مفتوحة دائما فتدخلها الثعالب والكلاب ليلا وتأكل منها وتفسدها. وبالنتيجة تراكمت الديون على صاحبها. ثم أُخبر بعد الفوضى السائدة إلى عشرين عاما أنك صرت مدينا. كان الرجل ذا طبيعة سخية فلم يرُقه إغلاق دار الضيافة غير أنه قلق بشدة بشأن تسديد الديون. فاستدعى أصدقاءه- دون أن يخبرهم بما فيه من عيب، كما هي عادة الناس بوجه عام- وقال لهم بأن الديون قد تراكمت عليَّ بكثرة. فقالوا جميعا أنه ليس للمخزن باب وبالنتيجة تُفسد الكلاب والثعالب وغيرها الأغراضَ طول الليل فتضيع كثير من الأشياء، ولو رُكّب للمخزن باب لأمكن توفير أموال كثيرة. فأمر بتركيب الباب فرُكِّب. لا شك أنها قصة خيالية وقد جرت العادة أن الكلاب والثعالب والحيوانات الأخرى أيضا تتكلم في القصص. فقد جاء في القصة أنه عندما رأت الكلاب والثعالب ليلا أن على المخزن بابا أثارت ضجة. في هذه الأثناء جاء كلب أو ثعلب محنك وخبير صُدفة وسأل أصحابَه: لماذا تثيرون ضجة؟ قالوا: لقد رُكّب على المخزن باب فمن أين سنأكل الآن، وكانت الثعالب والكلاب في هذه المنطقة كلها تأكل من هنا. قال: أنتم تشغبون عبثا وتضيعون وقتكم، فالذي رأى بيتَه يُنهب إلى عشرين عاما و لم يهتم به فهل سيغلق باب مخزنه الآن أحد؟ كما أنه لن يراقب المخزن بنفسه فلا تقلقوا.

العبرة في هذه القصة أن هناك فرقا شاسعا بين "إذا أردنا" و"أردنا فعلا". لقد أثارت الكلاب والثعالب ضجة أنه إذا "أراد" أن يغلق الباب فمن أين سنأكل. فقال زعيمهم المحنك أن ذلك الثري لن يريد ولن يهتم بالموضوع فما الحاجة إلى إثارة الضجة؟

ثم قال المصلح الموعود ﷺ بعد بيان ذلك بأنه إذا "لم يُرد" أفراد جماعتنا لن يتم شيءٌ، أما إذا "أرادوا فعلا" فستتم حتى أصعب الأمور في غضون أيام قلائل. كانت قصة "مصباح علاء الدين" مشهورة جدا في القصص التي كنا نقرأها في الصغر. كان علاء الدين فقيرا، وقد وجد مصباحا صدفة، وكلما فركه حضر الجنّي وحقق له فورا ما يطلبه منه كما جاء في قصة الأطفال. فمثلا لو طلب منه علاء الدين أن يبني له قصرا بناه الجنّي في لمح البصر. يقول المصلح الموعود ﷺ بأننا حينما كنا صغارا لا نعقل كنا نظن أنها قصة واقعية. ولكن عندما كبرنا علمنا أنها محض وهمٍ وخيال وحكاية وليس إلا. وعندما انتقلنا من مرحلة الشباب إلى الشيخوخة علمنا أن هذا الكلام صحيح.

ثم قال حضرته نصره الله لعل الجالسين أمامي هنا يستغربون من أن المصلح الموعود علِم بعد انتقاله من مرحلة الشباب إلى الشيخوخة أن هذا الكلام صحيح وأن مصباح علاء الدين موجود فعلا. ولكن المصلح الموعود ﷺ يقول بأن ذلك المصباح ليس مصباحا عاديا يُشعل بالزيت بل هو مصباح العزيمة والإرادة. ومَن وهبه الله تعالى هذا المصباح وفركه صاحبه لإتمام عمل ما يتم ذلك العمل لأن العزيمة والإرادة من صفات الله تعالى. فكما أن الله تعالى عندما يقول لشيء "كُن" فيكون، كذلك إذا قال أحد من الناس لشيء "كُن" بحسب قوانين وضعها الله تعالى وعمل بأحكامه (هذه كلها شروط يجب الانتباه إليها) واستمر في الدعاء له ﷻ تم ذلك العمل حتما.

باختصار، كنا في الصغر نقرّ بوجود مصباح علاء الدين، ولكن تزعزعت هذه الفكرة في الشباب، ثم تبين عند التقدم في السن بعد خبرة طويلة أن قصة مصباح علاء الدين واقعية. ولكنها قصة مجازية، وأن المصباح ليس من النحاس بل هو مصباح العزم والإرادة، وكلما فُرك أُنجز العمل فورا مهما كان كبيرا وصعبا.

فعلى كل واحد منا أن يتبنّى فكرة ألا تقتصر أعمالنا على "إذا أردنا" بل علينا أن نعقد الإرادة، وبالإرادة يجب أن ننجز ذلك العمل ونستعين بالله تعالى. هناك أناس "يريدون" أيضا ولكن أمورهم لا تتم على الرغم من إرادتهم، وذلك لأن إرادتهم تكون ناقصة ولا ترافقها المستلزمات التي ذُكرت آنفا، فلا ترافقها العزيمة ولا القوة ولا الجُهد، بل يضعون في بالهم فقط أنهم "يريدون" كذا وكذا. وأرى ذلك بوجه خاص حين يكون السؤال عن الصلوات أن الناس يأتونني ويقولون لي: اُدعُ لنا، نريد أن نلتزم بالصلوات ولكن لا نوفَّق لذلك. أقول: عندما يريدون إتمام الأمور الأخرى يُنجزونها فعلا، ولكن لا ينجحون في الالتزام بالصلاة لأن إرادتهم في هذه الحالة تكون ناقصة ولا يستخدمون بشأنها مواهبهم كلها كما يجب ولا يستعينون بالله لذلك لا يكادون يلتزمون بالصلاة.

فإرادة مثل هؤلاء الناس تكون ناقصة أو كالمعدوم في الحقيقة إذ لا يمكن أن يريد الإنسان إتمام عملٍ ثم لا يتمّ. الصلاة تأخذ مرتبة ثانوية عندهم وتأخذ الأمور الدنيوية مقام الصدارة ولكن هذا تصرّف خاطئ فلا يستطيعون العمل بحسب إرادتهم، وإلا كيف يمكن أن يعقد المرء عزما صميما لإنجاز عمل ثم لا يتم؟ إذنْ يكون هذا كسلا وعدم رغبة من أنفسنا. ومن العبث أن يسمى هذا إرادة وعزيمة.

يذكر ﷺ واقعة ويقول: كنا نسمع في عهد الطفولة قصةً وكنا نضحك عند سماعها مع أنها لم تكن قد اختُرعت للضحك بل للبكاء لأنها كانت ترسم حالة المسلمين في العصر الحاضر ولكن القاصّ رسم حالة المسلمين إشارةً لكي لا يلاحقه المشايخ. وإن كان أحد الأحمديين أيضا يقوم بما

تشير إليه هذه القصة فيجب أن يحاسب هو الآخر نفسَه. والقصة هي أنه كانت لسيدة جارية تستيقظ عند السحور بالمواظبة ولكنها لم تكن تصوم، فخطر ببال السيدة بأن الجارية تستيقظ لمجرد مساعدتها ولا تصوم فما الداعي لإزعاجها عند السحور عبثا؟ فرأت أن تحضِّر هي نفسُها السحور فقالت للجارية بعد ثلاثة أو أربعة أيام: لا تستيقظي للسحور فأنا نفسي سأعمل في ذلك الوقت، لا داعي لتتكبدي العناء. ولما سمعت الجارية هذا القول نظرت إلى سيدتها مستغربة قولها وقالت: يا سيدتي! إنني لا أصلي ولا أصوم، أفتريدين أن أصبح كافرة تماما بعدم تناول السحور؟

في الحقيقة صُوِّرت فيها حالة المسلمين أو حالة أولئك الذين لا يهتمون بالصلوات، يقول ﷺ: يمكن القول بكلمات أخرى أنه إذا قيل لأحد المسلمين (*الحديث هنا متعلق بصلاة جمعة الوداع ولكن تكون هذه الحالة في كل يوم جمعة أيضا*) ماذا تُجديك صلاة جمعة الوداع؟ ولماذا تكلِّف نفسك عبثا من أجلها إذ لم تصلِّ صلوات الجمع الأخرى فلا تصلِّ هذه أيضا؛ فسينظر إلى وجهكم باستغراب وسيقول: يا أخي! ما الذي تقوله؟ فإنني لا أذهب إلى المسجد للصلوات اليومية كما لا أصوم، أفتريد أن أصبح كافرا تماما بعدم صلاتي جمعة الوداع؟! إذنْ، هذا أيضا استهزاء إذ يصلي المرء مرة واحدة في السنة ويظن أنها تُغنيه عن الفرائض كلها، وهكذا الذين يصلون صلاة واحدة ويحسبون أنهم قد أدوا الواجب ويكفيهم ذلك. فالذين لا يهتمون بالصلوات بالتزام يدخلون في الفئة نفسها، الصلوات الخمس مكتوبة على كل مسلم عاقلٍ بالغٍ راشد وعلى الرجال أن يصلوا في المسجد بالجماعة. فإما أن يقولوا لم نبلغ الرشد بعد أو لسنا عاقلين، فإن لم تنطبق عليهم إحدى الحالتين فيجب أن يُسعى لأداء الصلاة بالجماعة في كل مكان.

يقول المصلح الموعود ﷺ في ذكر رواية: سمعتُ بنفسي من المسيح الموعود ﷺ أنه عندما يذهب أي ملك أو أمير إلى مكان ما فيذهب معه خدامه أيضا من دون أن يستأذن الملك لاصطحابهم معه، انظروا إلى الوزراء في هذه الأيام فلو ذهب أحدهم إلى مكان ما يذهب معه مدراء التشريفات والحراس أيضا ولا يُستأذَن لهم من المضيف، ومثلا إذا دعا نائبُ المِلك حاكمَ منطقة (*في تلك الأيام كان الإنجليز يحكمون الهند وكان المسئول الهندي يُسمى (النواب) أي نائب الملك*) فعندما يذهب إليه الحاكم يذهب معه خادمه بغير دعوة، وتتضمن دعوة الحاكم حراسه وخدامه أيضا، لذلك قال: مهما كانت حالتكم دنيّة إذا أنشأتم علاقتكم بالملائكة فحيثما تذهب الملائكة ذهبتم معهم، وإذا أنشأتم علاقتكم بالله تعالى أنشأتم علاقتكم بالملائكة ودخلتم في خدامهم وحراسهم، وإذا دخلوا قلوب الناس وأذهانهم دخلتموها معهم، فيجب أن تدركوا تلك القوة العظيمة التي خلقها الله تعالى لكم، فإن قوتكم مرتبطة بالروحانية، ولتقويتها عليكم أن تُنشئوا

علاقتكم بالملائكة إلى أقصى حد ممكن لكي تصلوا قلوب الناس، ولو وصلتم قلوب الناس لارتفعت جميع الحجب وحيثما يصل نور الله تعالى تصلون هناك أنتم أيضا.

نصح المصلح الموعود ﷺ أولئك الذين حضروا الجلسة في ذلك الوقت بأنه يجب أن يفهموا مسئولياتهم ويسعوا لتحقيق ما جاءوا هناك من أجله بشوق، لكي لا يكون مَثلهم مَثل الذين يحضرون قبل الوقت لمشاهدة المصارعة، بل يجب أن تُنشئوا علاقتكم بالله تعالى وبإنشائكم العلاقة بالله تعالى ستنشأ علاقتكم بالملائكة، وعندما تؤثّر الروحانية في أذهان الناس سينصركم الملائكة، وحيثما يصلون سيصل هناك اسمكم، لأن نيتكم حسنة وروحانيتكم مرتفعة وتعملون لوجه الله تعالى، فينبغي أن تتذكروا هذا الأصل أنكم عندما تجتمعون في مكان واحد –سواء كانت الجلسات السنوية والاجتماعات– فعندما تجتمعون لازدياد الروحانية فلا بد من السعي لتحقيق هذا الهدف، وكذلك لا ينبغي أن تجعلوا مجالسكم مجالس الروحانية المؤقَّتة، بل اجعلوا تأثيرها الروحاني يدوم، فيصبح الملائكة ناصرينا في كل مكان، وحيثما سعينا لشيء تدخّل الملائكة وأثّروا فيه وكللوا مساعينا بالنجاح. لنتذكر دوما أن المؤمن الحقيقي هو من يقوم بالصالحات، وكلما ازداد صالحاتٍ دعا اللهَ تعالى بتواضع واستغفارٍ أكثر من ذي قبل أن يوفقه تعالى لمزيد من الصالحات، وهذا ما يفعله المؤمن الحقيقي لكي تدوم سلسلة الصالحات وتكون عاقبته حسنة.

يقول المصلح الموعود ﷺ: يقول بعض الصحابة ﷺ عندما كنا نرى الرسول الكريم ﷺ يدعو كان يبدو لنا وكأن مرجلا يغلي بشدة، فيجب أن تتوجهوا إلى إصلاح أنفسكم وتطهّروا أنفسكم ولا تظنوا أنكم تعملون الصالحات لأنه يمكن أن تتولد خيانة في أحسن صالح أيضا. كان المسيح الموعود ﷺ يقول: لا أدري لماذا يتولد في قلوب الذين يعودون بعد الحج رعونة وسيئة أكثر من ذي قبل، وسبب هذا العيب هو أنهم لا يعلمون مفهوم الحج، وبدلا من أن يستفيدوا روحانيا يبدأون يتكبرون لكونهم حجاجا. ومع هذا القول كان المسيح الموعود عليه السلام يسمعنا طرفة أيضا، وهي أن عجوزا كانت جالسة على محطة القطار وقت الليل في أيام الشتاء، فسرق شخص رداءها فلما شعرت بالبرد بحثت عن ردائها فلم تجده، وعندما رأت أنه مفقود نادت قائلة أيها الحاجّ! ليس لدي إلا رداء واحد، أرجو أن تعيده إلي لأنني أحتاجه. كان السارق لا يزال قريبا ولم يكن قد ذهب بها بعد، فلما سمعها شعر بالخجل وأعاد رداءها، ولكنه مع ذلك سألها: كيف علمتِ أن السارق حاجٌّ، فقالت: في هذا الزمن لا يمكن أن يكون قاسي القلب لهذه الدرجة إلا الحاج. لذا لا تظنوا أنكم تعملون الصالحات ولا تظنوا أنكم تتحلون بنيات صالحة، مهما كان عمل الإنسان صالحا يمكن أن تتولد فيه السيئة، ومهما كانت نيته صالحة يمكن أن تُفسد إيمانه، لأن الإيمان لا

ينشأ نتيجة أعمالنا بل ينشأ نتيجة رحمة الله، وهذا شيء أساسي يجب تذكُّره، ومهما كثرت صالحاتنا فلا يمكن أن يكون الإيمان كاملا ما لم تتيسر رحمة الله وفضله، لذا ينبغي أن تترقبوا رحمة الله تعالى دوما ويجب أن ترتفع أنظاركم إلى أيدي الله تعالى لأن السائل -الذي يعتقد بأنني لو غادرت باب الله تعالى فلن يُفتح لي باب آخر- يجذب فضل الله تعالى، لذا يجب أن ترتفع أنظاركم إلى الله تعالى كل حين، وما دمتم وجّهتم أنظاركم إلى الله تعالى فستبقون مصونين، لأن الذي يرتفع نظره إلى الله تعالى لا يسع أحدا أن يضر به، ولكن ما إن يصرف الإنسان نظره إلى غيره ويستدبرْ بابَه ﷻ أي يغادر المرء عتبة الله تعالى فلا يبقى له قرار مهما كانت نياته حسنة ومهما أقدَم على الأعمال الحسنة، بل في هذه الحالة يجلس في حضن الشيطان. فإن المداومة على التوبة والاستغفار، وطلب فضل الله تعالى ورحمته، ومحاولة جذبها، لهي من الأمور التي تقود الإنسان إلى العاقبة الحسنة.

يقول المصلح الموعود ﷺ: كان المسيح الموعود ﷺ يذكر واقعة أنه قد حدثت سرقة في بيت أبي بكر الصديق أو عند عمر رضي الله عنهما - لا أذكر ذلك جيدًا — فقد سُرقت من بيته بعض الحلي. وكان أحد خدامه يثير ضجة قائلا: لا يزال يعيش في العالم مثل هؤلاء الأشقياء الذين لا يستحيون من السرقة من بيت الخليفة، فأخذ يلعن السارقَ بلا عدّ وإحصاء، وكان يدعو أن يكشف الله ستره ويخزيه. وعند التحقيق انكشف أن تلك الحلي مرهونة عند يهودي. فلما سئل هذا اليهودي عن مصدر هذه الحلي أخبر عن اسم الخادم الذي كان يثير ضجة ضد السارق ويلعنه.

فلا يساوي شيئًا اللعن أو الإقرار بالطاعة باللسان فقط، بل العمل هو الأساس، وإلا فإن المدعي بالطاعة باللسان قد يكون منافقًا أكبر في واقع الأمر. إنه لأمر يدعو إلى التفكير الكثير ولا بد من الاهتمام به دومًا.

يذكر المصلح الموعود ﷺ أحد المعاندين للجماعة الذي تبجّح أمام حضرته مدّعيًا: لقد قررنا سحق الأحمدية سحقًا. يقول حضرته: كنت أستطيع أن أردّ عليه بالطريقة نفسها وأتحداه أن يفعل ذلك، إلا أنني قلت له: إن القضاء على أحد أو إبقاءه على قيد الحياة بيد الله تعالى. فإذا كان هو يريد القضاء علينا فلا حاجة أن تحاولوا ذلك لأنه سيقضي علينا بنفسه، ولكنه إذا أراد أن يُبقينا فلا يستطيع أحد فعل شيء. قال المصلح الموعود ﷺ: إنها التقوى التي تنقذ الإنسان من مثل هذه الادعاءات بأنني أفعل كذا وكذا. فلا قيمة للأنانية بل التقوى ترشد إلى الرد الصحيح والمناسب. ولهذا يقول المصلح الموعود ﷺ بأنني قلت له: لا نستطيع فعل شيء كهذا، ولكنه إذا أراد الله تعالى

بقاءنا فلا تستطيعون فعل شيء ولن نُمحى أبدًا. قال المصلح الموعود ﷺ: إنها التقوى التي تُنقذ الإنسان من مثل هذه الادعاءات الفارغة كأنْ يقول سأفعل هذا أو ذاك. وما الجدوى من مثل هذه الادعاءات.

كان المسيح الموعود عليه السلام يقول: تفشت الهيضة (الكوليرا) الجارفة في قاديان أو في مكان آخر، وعند جنازة أحد المصابين بها قال شخص: إنهم يلقون بأيدهم إلى التهلكة، إذ إن الهيضة متفشية مع ذلك لا يتورع الناس عن الأكل والشرب بل يأكلون ملء بطونهم دون أن يفكروا في أنها أيام تفشي الهيضة. ثم قال هذا الشخص الذي -كان يتكلم كثيرًا- بأننا نكتفي برغيف صغير فحسب أما هؤلاء الأشقياء فيدسون الطعام في بطونهم ثم يموتون بالهيضة. فلما كان اليوم التالي مرت جنازة أخرى فسأل أحد: جنازة من هذه؟ ولما كان الناس منـــزعجين كثيرًا من كثرة كلام ذلك الشخص المذكور ضد الآكلين فقال أحدهم: هذه جنازة آكل الرغيف الواحد. فما فائدة مثل هذه الدعاوى والتبجح بأننا نفعل كذا وكذا، ولكن يمكننا أن نقول بما يقوله الله تعالى ويخبر عن حدوثه. لا يعني التواضع أن نخفي ما يقوله الله تعالى أيضا، يقول الله تعالى ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ (المجادلة: ٢٢)، فإن قال لي أحد بأننا سنسحقكم تسحيقًا، فبإمكاني أن أقول له بأنني لا أستطيع فعل شيء إن كان الأمر يتعلق بقوتي وطاقتي أما إذا قيلت هذه الكلمات عن الأحمدية فلن يتحقق ذلك أبدًا لأنه لا بد أن تغلب الأحمدية إن شاء الله. إننا نوقن بتحقق وعود الله تعالى أكثر مما نوقن بحياتنا. فلا بد أن تغلب الأحمدية سواء حدث ذلك في حياتنا أو بعدنا، ولكن هناك حاجة ماسة للالتزام بالتقوى والدوام عليها حتى نصبح جزءًا من هذه الغلبة، ولكي تبقى هذه التقوى قائمة في ذرارينا نسلا بعد نسل حتى يروا هذه الغلبة إن لم تتحقق في حياتنا.

كيف ينبغي أن نقوم بالأدعية؟ وكيف يمكن للأحمديين الخروج من الظروف الصعبة التي يتعرضون لها؟ يلقي المصلح الموعود ﷺ الضوء على ذلك فيقول: كان المسيح الموعود عليه السلام يقول بأن الحب الأمثل في هذه الدنيا هو حب الأم لولدها، ففي كثير من الأحيان يكون قد جفّ الحليب في ثدي الأم، ولكن عند بكاء الطفل يتدفق إليهما. فكما أنه لا يتدفق الحليب إلى ثدي الأم من دون بكاء الطفل كذلك ربط الله تعالى رحمته ببكاء العبد وتضرعه، فعندما يبكي العبد ويتضرع إلى الله تعالى يبدأ حليب الرحمة بالنـــزول. لذلك ينبغي أن نبذل قصارى جهودنا - ولكن ليس كما يبذل المنافقون جهودهم- ثم ينبغي أن نكثر من الدعاء إلى أقصى الحدود الممكنة. لقد حثّ المصلح الموعود ﷺ في ذلك الوقت أيضا بصوم سبعة أيام والإكثار من الدعاء.

قبل بضع سنوات قلتُ أيضا لأفراد الجماعة أن يصوموا، ولا زال بعض أفراد الجماعة قائمين على العمل به إلى الآن، وعلينا الآن أن نقوم بصوم ٤٠ يومًا على الأقل بواقع يومٍ في الأسبوع، ونكثر من الدعاء والنوافل والصدقات، وذلك لأن أوضاع الجماعة في بعض الأماكن تؤول إلى صعوبة وشدة كبيرة. إذا صرخنا في حضرة الله تعالى كالأطفال نزلت إن شاء الله تعالى نصرةُ الله تعالى من السماء كنـــزول الحليب من ثدي الأم عند بكاء الطفل، وبالتالي ستزول تلك العراقيل والمشاكل التي تعترضنا. لقد أزيلت هذه العراقيل في السابق أيضا وستزول الآن أيضا إن شاء الله.

يقول المصلح الموعود ﷺ: هناك بعض المشاكل التي لا نقدر على إزالتها، فلا نستطيع أن نلجم لسان العدو، ولا أن نوقف قلمه، فيخرج من لسانه وقلمه ما لا نحتمل سماعه ولا قراءته (وفي هذه الأيام أيضا نرى أنهم يلصقون في باكستان إعلانات ضد المسيح الموعود عليه السلام مستخدمين أقذر الكلمات وأشنعها. فكنا نلفت انتباه الحكومة في ذلك الوقت أيضا دون أن يُسمَع قولُنا مع أن الحكم كان بيد الإنجليز، فكانوا يسمعون كما يسمع الصمّ.)

يقول المصلح الموعود ﷺ: لو قيل عن أي شخص آخر ما يقال الآن عن المسيح الموعود عليه السلام (أي ما كانوا يقولونه في ذلك الزمن) لاندلعت نار الفتنة في البلد كله، ولكن تُذكر مثل هذه الأقوال عن المسيح الموعود عليه السلام باستمرار دون أن يُبطَش بقائليها.

وبلغ الأمر درجة أننا استلمنا تقارير أنه يقال في عصرنا هذا أيضا في محيط المعارضين أن المسئولين الحكوميين قد أكدوا لهم بأنه لن يُبطَش بهم مهما كتبوا ضد الأحمديين. فلقد لاقت الجماعة مثل هذه المعاملة على الدوام ولكن الجماعة بفضل الله تعالى ازدهرت أكثر فأكثر مقابل كل عرقلة وُضِعتْ في سبيلها. كانت هذه حالة الحكومة التي لم تكن قد سنّت قانونًا ضد الجماعة، أما في باكستان اليوم فالقانون الحكومي أيضا يدعم المعارضين للجماعة فإنهم يفعلون ما يشاءون، ويتفوهون ضد المسيح الموعود عليه السلام ما يحلو لهم من بذاءة الكلام والهراء بلا وازع ورادع، ويُضطهَد الأحمديون. والمحاكم عازمة على معاقبتهم على أتفه الأمور، فهناك حاجة ماسة للبكاء بين يدي الله تعالى والتضرع إليه لهذا الأمر، فعليكم بالخضوع أمامه مخلصين له، وأداء النوافل والتركيز على الصدقات، إذ لا سبيل لنا غير الدعاء وإثارة رحمة الله تعالى. وفَّقَ الله تعالى الأحمديين- ولا سيما في المناطق التي يمارس فيها الظلم ضدهم- للأدعية التي تهزّ عرش الله تعالى، وعلى الأحمديين في العالم كله أن يركّزوا عمومًا على الدعوات من أجل رقي الجماعة وتخلُّصِ أفراد الجماعة من الظلم والاضطهاد، وفقهم الله تعالى لذلك. آمين.